المحاضرة 09 : الجازية والدراويش – عبد الحميد بن هدوقة- .

تمهيد للدرس:

لما افتكت الجزائر استقلالها كان لزاما على أبناء الوطن السعي لبناء وطن فتي، يكبر مع أحلام مواطنيه، ولم يخرج المبدعون وبالخصوص الروائيون عن هذا التصور، إذ ومع بداية السبعينات جاء الفكر الاشتراكي المطعم بالفكر الثوري آنذاك، فكانت البداية التي حاولت أن تلامس من الناحية الفنية وروح الرواية في ذلك الوقت على غرار النصوص الآتية: صوت لغرام 1967م لمحمد منيع وغيرها من النصوص التي لم تكن سوى محاولات محتشمة في هذا الفن السردي.

يمكن أن نسوق هنا البدايات الحقيقية للرواية المكتوبة باللغة العربية برواية ريح الجنوب سنة 1971م وبعدها صدرت له رواية الجازية والدراويش سنة 1983م.

رواية الجازية والدراويش وهي أحد الأعمال البارزة التي أعطت لصاحبها حين ظهورها الزخم والحضور المتميز في الأوساط الادبية، لأنها عبرت عن مرحلة جديدة من مساره الروائي

1/ عبد الحميد بن هدوقة: عبد الحميد بن هدوقة الكاتب والروائي الجزائري الذي يعتبر من أوائل الكتاب الجزائريين، الذين جسدوا من خلال أعمالهم الروائية، قضايا المجتمع الجزائري، بكل ما عانى منه من ويلات الاستعمار الفرنسي، من تشرد وحرمان، ومن خلفه إقطاعية وتسلط فقد أكسبته خبرته وعيشه من اكتساب خبايا الشعب الجزائري، وما يمتلك من عادات وتقاليد وموروثات شعبية، التي

توارثتها الأجيال، جيل عن جيل فهو من مواليد الشرق الجزائري في قرية المنصورة ولاية سطيف في 09جانفي 1925م من قرية تنتمي إلى المنطقة التاريخية، المسمات بالقبائل الصغرى، التي اشتهرت منذ القدم سكانها الجبليون المنحدرون من أصول عربية بربرية بتقاليدهم العريقة في حب الحرية، أخذ تعليمه الأول عن أبيه وبعد ذلك في المدرسة الابتدائية أسس اللغة العربية الفصحى، ثم تابع دراسته في جامع الكتانية بمدينة قسنطينة وقضى أربع سنوات في جامع الزيتونة، وكان طالب في معهد الفن الدرامي كما درس في الإخراج الإذاعي والمسرحي نال دبلوم في تحويل المواد البلاستيكية وعمل مديرا للبرامج الفنية في إذاعة الجزائر وتلفازها، ثم مستشارا ثقافيا فيها ومديرا مسؤولا عن المؤسسة الوطنية للكتاب، ورئيس للمجلس الوطني الجزائري، وأمينا عاما مساعدا لاتحاد الكتاب، وكما اشتغل مدرسا للأدب العربي سنة 1955م، فقد عانى من مختلف ضروب الحرمان أصيب بمرض أقعده الفراش في عيادة لذلك نصحه الاطباء بتغيير وظيفته منذ 1950م جرب فيه بن هدوقة مواهبه في الفن، فكتب عدة مسرحيات بالدارجة للإذاعة وارتحل سنة 1958م إلى تونس وهناك كرس جهده للعمل في الصحافة والتأليف، نشرت قصصه الأولى في الجرائد والمجلات التي كانت تصدر آنذاك، وفي السنة نفسها صدر الكتاب الأول وهو مجموعة من مقالات بعنوان – الجزائر بين الأمس واليوم- سنة 1962م، ومن آثاره:

- ✓ الجزائر بين الأمس واليوم دراسة سنة 1959م.
- ✓ ظلال الجزائر – قصص- سنة 1960م
- ✓ الأشعة السبعة – قصص- سنة 1960م.
- ✓ الأرواح الشاغرة – شعر- 1967م
- ✓ ريح الجنوب – رواية-
- ✓ الجازية والدراويش
- ✓ السراب.
- ✓ دفاع عن الفدائيين – دراسة-. توفي عام 1996م.

2/ رواية الجازية والدراويش: من أهم الروايات التي جسدت الحياة الواقعية الجزائرية في العهد الاشتراكي وقوته آنذاك حيث تقع الرواية في مائتين واثنان وعشرين صفحة، وهي رواية لم ينجزها ابن هدوقة على أساس العناوين بل على أساس الزمن، حيث اعتمد البناء السردي لهذه الرواية على زمنين هما: (الزمن الأول، الزمن الثاني) وهكذا راحت تتداول بين هذين الزمنين في ثماني أجزاء.

بدأ الروائي روايته بتوطئة:

قبل ميلاد الزمن

قبل ميلاد الزمن كان الجبل

وكانت العين.

وكان الصفصاف.

الرعاة.

والشامبيط.

ومع ميلاد الزمن

ولدت الجازية

والدراويش

والسبعة

وهكذا بدأت القصة....

زمن الأول: يأتي الزمن الأول على لسان الطبيب السجين والذي يعود بذاكرته إلى أحداث ماضيه حيث يروي فيها الأحداث التي جعلته يسجن، وهو يعبر عن مدى قسوة الحياة وألم الفراق لأحد أحبته وهو يصارع هذه الآهات من أجل المقاومة، فيروي كيف كان الصراع والتنافس من أجل كسب رضى الجازية والفوز بها وعن إصرار والده في تزويجه من الجازية وعن مصلحته ومصلحة الدشرة من هذا الزواج وعن حبه وتعلقه بالجازية منذ الصغر، وتحدث عن الطالب الأحمر المغامر الجريء الذي مات في سبيل حبه للجازية.

بطلة الرواية الجازية فتاة ابنة شهيد قتل أبوها وهو رجل مجهول النسب ولم يعرف له بلد، وأمها ماتت في أثناء وضعها، فقامت على تربيتها عائشة بنت سيدي منصور، وهي مجاهدة كجداتها، والشيء الملفت

للانتباه في الجازية أنها تمتلك جمالا خارقا للمألوف، كما أنها فتاة غريبة الأطوار لا تستقيم على حال، وأن شهرتها بلغت الأفاق، فلهذا تنافس على الزواج منها أطراف اختلفت مشاربهم واماكن تواجدهم وهم:

- ✓ الطيب بن الأخضر الجبايلي.
- ✓ الشامبيط.
- ✓ عابد بن السايح
- ✓ الأحمر.

ملخص تفصيلي لأحداث الرواية:أحداث هذه الرواية في إحدى القرى النائية الجزائرية على قرية دشرة (السبعة) في فترة ما بعد الاستقلال خلال السبعينيات، فترة الحكم الاشتراكي لما كان تعلق الفلاحون بأراضيهم، وتصور الرواية وقائع عن عادات وتقاليد الشعب الجزائري من خلال قصة فتاة حسناء، خارقة الجمال، ذكية متميزة. لديها جميع مواصفات التي يتمناها كل شاب، تدعى " الجازية " توفيت أمها وهي تضعها، ومات أبوها مقتولا قيل قتل بألف بندقية، فتولت تربيتها عجوز تدعى عائشة بنت سيدي منصور وهي امرأة مجاهدة، وباتت محور الصراعات اليومية في القرية لما تنافس أربعة أطراف لكسبها، (الطيب والشامبيط وعايد و الأحمر)، قسم الروائي الرواية إلى قصتين: الأولى **سماها الزمن الأول والأخرى بالزمن الثاني**، وكل قسم جعل له أربعة فصول فالزمن الأول: أتاح فيه الروائي على روي الأحداث "للطيب" الشخصية الموجودة داخل الحكاية وهذا صور لنا الأحداث التي تمتد من السجن إلى القرية من خلال إبحاره في الحوار مع نفسه، داخل غرفة السجن لا أنيس له، فهو حزين يتألم ... استحضر قصته من خلال استذكار للأحداث التي مر بها في الدشرة وقصة حبه للجازية، وخطبتها، وعن التهمة التي وجهت له في مقتل الطالب المتطوع "الأحمر" **أما الزمن الثاني** : "تارة يرويه راوي غائب خارج الحكاية، وتارة أخرى الطيب عن قصة عائد الشاب المهاجر الذي عاد حبا لبيئته ورغبته في التعرف على الجازية والزواج منها، بعد أن أطغت أخبارها أرض المهجر إضافة إلى قصة الطلبة الجامعيين وعدد سبعة ستة فتيان وصافية"

أتوا لدراسة المشروع الذي تزعمه الشامبيط بدعم من شركة أجنبية لبناء السد وترحيل سكان القرية ووهب قطعة أرض لأبنائها من أجل بناء قرية جديدة، فلقي الطلبة ترحيبا واسعا من القرويين حتى أنه استقبل أب الطيب الأخضر بن الجبايلي كل من الطالب الأحمر وصافية في منزله فالأحمر كان يعد دراسة عن السدود في المناطق الجبلية وبعد تلك الدراسة وضح له أن المشروع غير صالح للبناء... إضافة إلى رفض

أهل القرية بالرحيل يأتي يوم ذبح فيه ثور وشرعت النساء في تحضير الطعام وما إلى ذلك، إنها الزردة في جامع أولياء السبعة أقامها سكان القرية شرفا للطلاب، دوت أصوات البنادر والزرنة وشرع الدراويش في الألحان .... حضر الجميع نساءً ورجالا، الطلبة المتطوعين ومنهم صافية في صدر الساحة مع الشامبيط وأعيان القرية والدراويش والإمام. الزردة في بداية أمرها كانت عادية، رقص وألحان فلكلورية، صيحات من الدراويش ورقص شاركهم فيها بعض الطلبة والقرويين. لكن ما إن شرع الدراويش في تحمية المناجل يلمسونها ويلعقونها بألسنتهم ويمررونها على أذرعتهم لجدارتهم بها، حتى عاد الطلبة من الرقص لأماكنهم خوفا ما عدا الطالب الأحمر ظل يرقص مع الدراويش، أعجبت النساء به وهو يرقص بلا خجل، وعند حضور الجازية المفاجئ إلى الحضرة وهي ملثمة، نورها لم يحجبه اللثام، التف الجميع إليها فعلت صيحات الدراويش تطلب المناجل، ثم بدأ الرعد وازداد الجو حضرة إلتهابا: "رعدا وبرقا الزرنة والبنادر الدراويش والمناجل الليل رقصه الطالب، حضور الجازية المفاجئ صيحات الدراويش وبكائهم "كما قيل". ثم قدم منجلا للطالب الأحمر فاتجه به هذا نحو الجازية، جرها إلى الساحة الرحبة وسط الدراويش ، قدم لها منجلا فلعقته ، راقصها فراقصته الكل بقي منبهرا ، وغاضبا من الجازية وفعلها . لأن هذا هو تحطيم لعادات القرويين بعدها حان رحيل الطلبة المتطوعين فرحلوا - ماعدا الأحمر لم يرحل لسبب ما ، ظن الطيب أنه بقي من أجل الجازية ، وبقي يتجول في الدشرة إلى أن وجد ميتاً على حافة الجرف؛ فاتهم الطيب بقتله اعتقادا و أنه انتقم منه شرفا له عندما راقص الجازية أمام الجميع.

وبعد أيام عاد "عائد" ابن السايح بولمحاين من المهجر بحثا عن صديق أبيه الأخضر بن جبايلي، وما إن لقاه و علم به هذا الأخير أنه ابن صديقه حتى استضافه في بيته، خرجت به زوجته وابنته حجيلة التي رآها أول مرة قرب العين وظن أنها الجازية. اكتشف من أهل القرية الأخبار التي جرت في الدشرة وخاصة أن الجازية كانت خطيب الطيب، فبدأ يتراجع عن حلمه من الزواج بالجازية وأصبح يرغب بالزواج من حجيلة، وفي إحدى أيام الخميس بعد عودة ابن الشامبيط الذي يدرس في أمريكا، أقام الشامبيط زردة في ظهر ذلك اليوم استدعى فيها الجميع، احتفالا بعودة ابنه، و لتسمح فرصة بلقائه مع الجازية وطلبها للزواج لابنه، فحضر فيها كالعادة أطهى وأشهى الأطباق والأغاني وغيرها ... إلا أنه حدث أمر مفاجئ، إنه تأخر الشامبيط وابنه في المجيئ إلى أنه شاع خبر موت الشامبيط في حافة المخاطر .

وتنتهي مجرى الأحداث بطلب "عايد يد حجيلة من أبيها معبرا بهذا: "الجازية حلم، والأحلام لا تتحققا لكل الناس ! وأنا يا عم عاهدت أبي أن أعود وقد عدت وفي أول يوم وصلت إلى هذه الدشرة شاءت الأقدار أن لا ألتقي بالجازية لكن بحجيلة ... فهل تقبلني يا عم! قرينا لها ؟ وهل تقبلني هي ؟ ...حتى علت زغاريد النسوة وأطلق الأخضر بن جبايلي البارود تعبيرا عن القبول. وهكذا تم الانتقال من الواقع إلى الواقع...

3/ **تطبيق:** عد للرواية واستخرج منها:

- ✓ التناص
- ✓ العجائبية
- ✓ والأسطورة.
- ✓ التراث الشعبي.

مراجع المحاضرة:

1/ عبد الحميد بن هدوقة: الجازية والدراويش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

2/أحمد بقار: النص الموازي في رواية الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، العدد 23، 2016، ص 232....244.